المحاضرة رقم 7

الرواية الجزائرية المعاصرة ما بعد السبعينيات.

ت1-الرواية المعاصرة:

لم تعد الرواية المعاصرة تكتسب إطارها المنطقي الذي يرتب أحداثها ترتيبا سببيا، انطلاقا من البداية، إلى الوسط، ثم النهاية. لقد أصبحت نمطا آخر من التداخلات بين مختلف أحداثها، وعناصرها، وزخما من تدفقات الأصوات المختلطة. والرواية الحديثة، من وراء كل ذلك، تسعى إلى «تجاهل المألوف، لتأتي بالبديل، ولتصبح رواية اللاحدث؛ مما يعطي أداة اللغة أهمية كبرى لم تكن تتحلى بها من قبل» [1].

وكان أن انتقلت من الخارج إلى الداخل، وصارت من بين أهم خصائصها أنها تلجأ إلى الاستبطان الداخلي، واستكناه الحقائق، وجوهر الأشياء؛ فلم تعد تكتفي بمظاهرها الخارجية، ولم تعد تصور، وتطيل الوصف «ومن ثم فإن رواية الحداثة تعني كثيرا بمسألة الوعي، وما يتبعها من التعامل مع مجالات اللاوعي وما تحت الوعي في العقل الإنساني، وينتج عن ذلك طبعا تضاؤل أهمية البنية التقليدية في فن السرد، التي كانت تقوم أساسا على أحداث خارجية موضوعية تعتد بسيطرتها التامة على القصة في الرواية التقليدية»[2].

لقد كتب الروائي الأمريكي (وليام فولكنرWilliam Faulkner) روايته (الصخب والعنف Le bruit et la fureur)، وعاش بهذه الرواية مغامرة كبرى؛ إذ لم يُكتب لها النجاح الفوري؛ لأنها انزاحت عن المعيار الروائي المألوف. وكتب (مارسيل بروست M.Proust) روايته الشهيرة (البحث عن الزمن المفقود(À La recherche du Temps perdu. وأراد من خلالها استرجاع الزمن الماضي وفق تداعيات الذاكرة، ومحاولة الاستئناس بظلال من الماضي العنفواني. وكان أن بدأت فكرة الزمن تتبلور في أذهان الروائيين الجدد. فإضافة إلى (فولكنر)، و(بروست)، نجد (جيمس جويس James Joyce)، والزمن عنده «ليس زمنا ميكانيكيا، وإنما هو تلك الحالة الشعورية التي تعبر عن طبيعة حياتنا الداخلية، والتي يمكن أن تتضح بذلك الشكل الذي يفصح عن مادة ذكرياتنا وأحلامنا، وتخيلاتنا..فلا غرابة أن يومئ الزمن عند كاتبنا بالغموض والميوعة، والسيولة، والنسبية..الأمر الذي يجعله يفلت من سيطرتنا وإدراكنا»[3].

كما تعتبر الروائية (فرجينيا وولفVirginia Woolf) من بين أهم من مثّل هذا التيار، وأيضا (فرانز كافكا Franz Kafka) ...

---

[1]) ياسر داغستاني: الكتابة الروائية والحداثة. مجلة مواقف. العدد 35. ربيع 1979. ص99–100.

[2]) المرجع نفسه. ص100.

[3]) سعد عبد العزيز: الزمن التراجيدي عند جيمس جويس. مجلة الفكر المعاصر. العدد 56. أكتوبر1969. ص68.

وأصبح الروائي المعاصر يحس إحساسا عميقا أن لا شيء يستطيع أن يوقف عجلة الزمن التي تُخلّف وراءها الأشياء بعد أن تفنى. فمحاولة اللحاق به ضرب من المحال، فلجأ إلى مخزونه المترسب في الأعماق، في محاولة جادة إلى زرع الحياة في أوصاله،

واستحضاره في صورة تنبض بالحركة، والتدفق؛ راحلا في أغوار الذاكرة، مستبطنا وكاشفا عن اللحظات المضيئة في حياته ليعيدها إلى الزمن الحاضر. فتمّحي أمامه الفروقات والحواجز. إن الروائي في رواية الزمن «يقوم بمحو الفروق بين حياة الشعور، واللاشعور، وبين اليقظة والحلم، وبين الحقيقة والوهم وهو يستخلص من وراء ذلك علاقات جديدة يصوغها في مركب جديد يمكن أن نطلق عليه اسم الرواية الزمنية التحليلية..تلك الرواية التي يعمل الكاتب فيها، على تعرية الأشياء، وسلخها من الروابط العلية والمنطقية»[4].

ت2-التجريب الروائي عند واسيني الأعرج:

يركّب الكاتب واسيني الأعرج عالمه الروائي على الحدث التاريخي. فتأتي الرواية معبأة بالتداخلات بين الأحداث، والتفاصيل التاريخية التي يخضعها للسياق الرؤيوي، ولأبعاد التجربة، فنستشعر ذلك النفس الملحمي الذي يتميز به موضوعه، وذلك السيلان، والتدفق الذي يكسبه الحيوية والتحرك دون انقطاع. وإن الميزة الرئيسية التي تميز أعماله هو صهر الأحداث التاريخية فيما بينها، فتتقاطع تارة، وتتوازى تارة أخرى. وليس يخفى علينا ذلك في رواية (نوار اللوز) التي يؤسسها على تاريخ سيرة بني هلال؛ فيعيد استحضار ذلك الموروث الملحمي ليصهره بأدائه الروائي. فتأتي الرواية وكأنها ملحمة أخرى. والرواية التي بين أيدينا حافلة بالأحداث التاريخية؛ منها حكاية الدونكيشوت، والموريسكيين ومحاكم التفتيش، والملك خازوق، والسموراي...

والعالم الروائي عند واسيني الأعرج هو عالم متشابك، ملامحه الأولى تبدو من أول وهلة في اللغة التي تحلق في فضاءات دلالية رحبة، لا تؤمن بالجاهز، بل تستفز القارئ وتحرك فيه حاسة التفكير في عمقها الدلالي الذي يحلق في متاهات التاريخ، وغموض المستقبل، وتفاصيل الواقع الراهن. كما أن النصوص الروائية تتبنى التاريخ كمرجع أساسي في بناء الحدث الروائي. فيغدو التاريخ ملحمة درامية في النص، ويغدو النص وثيقة تاريخية.

ومن جهة أخرى يتأسس النص الروائي لدى واسيني الأعرج على بنية درامية، تتحرر فيها الشخصيات من سلطة السارد الذي يكون الرقيب الموجّه في كثير من الروايات، ويمارس سلطته على سير الأحداث وأفعال تلك الشخصيات. ويعتمد من خلال ذلك تقنية التصوير المشهدي السينمائي، الذي يسلط الضوء على مختلف الأماكن المظلمة. وأحيانا يعطي الفرصة للحدث، ويبني سلسة من الأحداث دون أن يعطي الأولوية للبطل.

ويمكن الإشارة إلى أهم صفة في النصوص الروائية لواسيني الأعرج، وهي تكسير البنية المستقيمة لأحداث الرواية، واعتماد البنية الحلزونية التي لا تتقيد بالترتيب الزمني، وهذا يسهم في اتباع

[4]) سعد عبد العزيز: الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة. مكتبة الأنجلو مصرية. أكتوبر1970. ص29.

تقنية التداعي، وتوارد الأفكار لدى الشخصيات، فيصبحون أحرارا في إعطاء الفرصة لمختلف مشاعرهم المختلطة في الظهور، والتأثير في سير الأحداث، وتحقيق الصراع الذي يصنع عقد النص.

ت3-رواية مصرع أحلام مريم الوديعة:

تنطلق الرواية من حادثة طعن بالسكين على الظهر، ولا يتضح الفاعل، وتلك الطعنة يتلقاها إنسان وسط شارع يملأه الضباب، وسيول المطر الجارف، ويحمل ورقة قضائية مكتوب عليها: «الرجاء حضور الجلسة القضائية القادمة بتاريخ(000)19. الحضور إجباري حتى لا تتخذ إجراءات قضائية صارمة ضدكم شكرا» [5].

ويحاول هذا الإنسان المطعون الوصول إلى صديقه (حميدو)، لنقله إلى المستشفى أملا في الحياة. وبين مكان الطعنة ومكان بيت (حميدو) تتسرب إلى ذاكرته أحداث كثيرة، ومتشعبة، تنبثق من أغوار الماضي لتطفو على السطح، وتتكشف أبعادها، فتتوارد تلك الأحداث وكأنها حشد من الأضواء المتداخلة والمشعة تخطف الأبصار. وهذه الشخصية الروائية تقضي ليلتها محطمة الضلوع إثر الطعنة الشديدة، وتتهيأ الذاكرة لاستنشاق ذكريات الماضي، فتبزغ اللحظات السحيقة البعد «تتذكر الطفولة والبرد والأنوف التي أحرقها المخاط الشتوي الذي لا يتوقف» [6].

ويسعل أكثر: «تذكرتُ طفولتي التي انتزعتها مني....الريح العصيبة، كنا نريد أن نوقف العالم عن تفاصيله التي تمر مسرعة بدون أن نستمتع بروعتها. أن نوقظ المدافن» [7].

إنه الزمن الهارب الذي يريد الإمساك به دون جدوى؛ فالدم يتهاطل من جرحه كالمطر، والرعشة تلهب كوامن الرغبة في التحرر من سطوة الجرح، والاندفاع إلى متاهات الذاكرة التي تحمل كثيرا من الذكريات. وهذا التداعي يحوّل البطل إلى باث ومتلق عبر حوار داخلي، تتداخل فيه الأحداث، وتتدفق دون ترتيب منطقي.

وهذا العمل السردي يعد من أهم الروايات والأعمال التي صدرت للكاتب الروائي الجزائي واسيني الأعرج. وقد ذاع صيتها عند المهتمين بالرواية الجزائرية والعربية.
وقد حققت هذه الرواية رواجا كبيرا تمثل في المبيعات الكبيرة بسبب الشهرة الواسعة التي حققتها داخل الجزائر وخارجها

وقد نُشرت رواية مصرع أحلام مريم الوديعة لأول مرة باللغة العربية في بيروت عام 1984م، وذلك على الرغم من توفر النشر في الجزائر في ذلك الوقت.

---

[5]) واسيني الأعرج: مصرع أحلام مريم الوديعة. ص12.

[6]) المصدر نفسه. ص14

[7]) المصدر نفسه. ص54.

وفي رواية مصرع أحلام مريم الوديعة يتحدث المؤلف عن الرقابة السياسية في الجزائر والتي تلاحق أصحاب الفكر الثوري المنتشر في ذلك الوقت. وداخل الأحداث الثورية المتأزمة يتحدث الكاتب عن قصة حب بين البطل (محمد)، و (مريم) التي تزوجت بالإكراه من أحد ضباط الأمن الوطني الجزائري. وعلى هذا تتأرجح أحداث هذه الرواية بين الحرب والحب.